التقدم و الرجعية

(٢)

بقلم الدكتور تقي الدين الهلالي
المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين

الرجعية في نظر الدول التي لاتدين بدين

عبــــرت بالدول ولم اعبـر بالشعوب، لان حرية الفرد فى شعوبها أمر مستهجن لاقيمة له فلا سبيل الى معرفة مقدار تمسك شعوبها بالــدين او عدمه فلا نستطيع ان نحكم عليه وانما نحكم على حكامه فهم يزعمون ان الدين (أفيون) الشعوب قــالوا لان الدين شيء لاتفهمه العامة فهو منحصر فى رؤساء الكنائس وهؤلاء الرؤساء يستحوذون على الشعــب بالترغيب والترهيب ويتصرفون فيه وفى رؤسائه وامرائه وسوقتـــه حسب اهوائهم ويوجهونه الى أى وجهـــة شاءوا كما تسوق الرعاة الاغنام ، ولو ان هؤلاء الحكام طالبوا بالتحرر من سلطـــان رجال الكنيسة ليختار الشعب الوجهة التى يريدها فى عقيدته ونظامه وحكمه وعلمه ومعيشتـــه وتعليمه وشؤونه الاجتماعية كما فعـــل الخارجون على الكنيسة البابوية لربما كـــان قولهم مفهوما ، ولكنهم يدعـــون الى محو سلطان الكنيسة الذى يخوف الناس بعذاب الله ويبشرهم بالسعادة الروحية بعد الموت ليقيموا بدله سلطانا ماديا تحت لمعان السيوف والنفى والقتل والتعذيب وكتــــم الانفاس وكبـت الحريات ومضايقة الناس فى أرزاقهم وأعمالهم وتعليمــــهم ومساكنهـــم وطعنهم واقامتهم . والطـــامة الكبرى انهم يفرضون عليهم دينا اخر وعقيدة اخرى لايقولون لهم انها جاءت من الله ولا من الرسل ولا من الانبياء ولكن من اشخاص مثلهم من ابنـاء جلدتهم ومن يتجرأ على رفض شيء من تلك العقائد فالويل له مـــاذا ينتظره من العذاب المهين او المـــوت الزؤام فهم ينقلونهم من ضيق الى أضيق ومن دين

غير مفهوم بادعائهم الى عقائد غير معقولة يجزمون ببطلانها ويكرهونها ولايجدون عنها محيصا فهم كما قال الشاعر :

المستجير بعمرو عند كربته

كالمستجير من الرمضاء بالنار

وان كان القسيسون يبشرون اتباعهم بنعيم الفردوس فتمتلىء أرواحهم سعادة وغبطة ولايأخذون من أموالهم الا ماتبرعوا به عن طيب نفس فان الحكام التقدميين يسلبونهم كل شيء ولايبيحون لهم أن يملكوا شيئا : لامسكنا ولا حيوانا ولاشبر ارض يزرعونه ولا تجارة ولاصناعة يستغلونها ولايتعلم الطلبة من العلوم الا مايشتهون اعنى الحكام ولايلقى مدرس درسا فى علم من العلوم الاجتماعية او يكتب كلمة فى كتاب او صحيفة او رسالة فى البريد بل لايتكلم بكلمة امام رفاقه بل امام اهل بيته الا اذا وزنها بميزان الذهب خوفا من أن تكون مخالفة للتعليم والقوانين والعقائد الاشتراكية فتخطفه الزبانية

واذا أراد الحكام تسلية عامتهم وتبشيرهم حدثوهم بمتخيلات لايمكنهم تصديقها ابدا يقولون لهم :

نحن الان فى البداية وكل بداية صعبة كما يقول المثل الالمانى فاصبروا على قلة الغذاء وضيق المسكن وخشونة الملبس وكثرة ساعات العمل وقسوته وصعوبته فسيأتى زمان هو المقصود بالذات ان لم ندركه نحن فستدركه الاجيال المقبلة وحينئذ لايشتغل العامل الا خمس ساعات فى اليوم والليلة ولا توضع اقفال على مخازن الطعام والثياب وتكون الاموال مشاعة بين ابناء الشعب كل واحد يأخذ لنفسه منها ماشاء ويشتغل اذا شاء وينام اذا شاء ويسافر اين شاء ويلبس ماشاء ويركب ما شاء .

وهذا التبشير من السادة الحاكمين واذنابهم وابواقهم يجب على المحكومين وهم عامة الشعب ان يتلقوه بالتصفيق والهتاف والتحميد والتمجيد والا توجه اليهم تهمة خطيرة وهى (الرجعية) و (البرجوازية) والميل الى الرأسمالية وماشابه ذلك ولو كان اولئك العامة يستطيعون التعبير عما فى ضمائرهم لانشدوا قول ابى فراس:

معللتى بالوصل والموت دونه

اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر

فالتقدم عند هؤلاء الحكام ينحصر فى امامين مقدسين معصومين من الخطأ جميع ارائها حق ، وليس لاحد ان يفسر هذه الاراء الا الحكام الحاضرون ولو فرضنا ان هؤلاء الحكام استبدلوا بحكام اخرين لم يبق لهم صلاحية للتفسير ومافسروه من قبل لاتلزمه العصمة من الخطأ وقد ينسخ كله دفعة واحدة والقول مايقوله الحكام الحاضرون ، وكل شيء يخالف اراء الامامين حسب تفسير الحكام

الحاضرين فهو رجعيـــــة تتنافى مع التقدم ·

ولو فرضنا ان حاكما فسر شيئا من اراء الامامين اليوم لوجـــب على الشعب كله بعلمائه وحكمائه وكتابه ان يتلقى تفسيره بالقبول والتقديس، والا كان رجعيا وان لم ينتـــه يكون خائنا فلو عزل ذلك الحـــاكم غدا لاصبح تفسيره عديم القيمة مرغوبا عنه بل قد يكون منكرا وضلالا ،وهذا كله شاهدناه بأعيننا وسمعناه باذاننا ولكننها لم نفهمه والله المستعان ·

كنت في برلين الغربية اتيمم للصلاة لاني كنت مريضا لااقدر على استعمال الماء فرآني شاب من برلين الشرقية فقال لي ماذا تصنع ؟ فقلت هو ماترى فقال وهل هذا من الدين قلت نعم قال : هذا شيء شكلي لامعنى له ولا فائدة اما الوضوء ففيه تنظيف للاعضاء المغسولة واما المسح بالتراب فليســـ فيه الا التلويث فقلت : سمعتك تـــذكر ان ــ ستالين ــ الف كتابا في التربية وتثنى على ذلك الكتاب مع ان ستالين رجل عسكري قضى عمـــره كله في المراتب العسكرية ولم نسمع انه كان يوما ما معلــما ولامدير مدرسة ولا مشتغلا بالتربية فمن اين جاءه علم التربية حتى الف فيه كتابا نفسيا فثناؤك عليه ثناء شكلي وتقليد وانما اثنيت على كتابه الذى ألفه في علم التربية لانه رئيس دولة وزعيم حزب فشهادتك له تملق محض ·

اما معنى التيمم فهو معنى الصلاة فان الله غنى عن العالمين فاذا عظموه بالصلاة والدعاء والتمســـح بالتراب فانما ذلك لتزكية نفوسهم وتكملتها· وبعد موت ستالين اسقطه خلفه من درجة التقديس وظهـــرت له ذنوب ، واخطاء كثيرة وهذا الخلف نفسه شرب بالكأس نفسها ·

وحاصل ماتقدم ان الـــدول التى لاتدين بالنصرانية تقـــدس نحلتها وتعدها تقدما وتعد كل ماخالفها رجعية او برجوازية · وتذم كل مخالف ونحن لانستطيع ان نفهم ان سويسرا مثلا رجعية او ناقصة التقدم ·

الرجعية عند الشعوب العربية في العصور الاخيـرة

اعلم أن العرب في هذا الزمان اعنى دولتهم منقسمون الى قسمين : قسم يسمون انفسهم تقدميين واشتراكيين فاذا قيل لهم هذا لفظ مبهم ، فاى اشتراكية تعنون ؟ يقولـــون نعنى الاشتراكية العـــربية فيقال لهم ان العرب كانوا بعد جاهليتهم لايعرفون الا الاسلام ولايدعون الا اليه ولايتبعون الا القرآن وسنة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولفظ الاشتراكية غيرموجود في الكتاب والسنة ، ولم نـــر لهم تعريفا جامعا لهـــذه النحلة ولاحدا يحدبها اما الاعمال التى يقومون بها ويعلنون انها من مفاهـــم الاشتراكية فانهم يختلفون فيها · اما ان كانوا يعنون الاشتراكيـــة المستوردة من اوروبا ، ففي اوروبا نوعـــان من

الاشتراكية ! الاشتراكية التي هي مقدمة الشيوعية • كما في شرقي اوروبا وفي يوغوسلافية والصين ماعدا فرموزة • والبانيا والاحزاب الشيوعية في الشعوب الاوروبية • والاشتراكية الديمقراطية : كاشتراكية حزب العمال في بريطانيا والمانيا وبلجيك وفرنسا وغيرها ، وهناك اشتراكية انقرضت وهي الاشتراكية الوطنية التي كان عليها هتلر وموسوليني ، واظن ان هذه الاشتراكية التي تلهج بها بعض الدول العربية هي الى اشتراكية هتلر اقرب وبها اشبه ، مع فارق عظيم وهو ان الشعب الالماني الذي كان من وراء هتلر شعب عظيم في مقدمة شعوب الحضارة والعلم والمدنية العصرية ، بخلاف شعوب تلك الدول فانها لم تبلغ في ذلك نصيبا يذكر فهي مما يسمى على سبيل التفاؤل بالشعوب النامية ، كما يسمى اللديغ سليما • ولذلك كان لاشتراكية هتلر نجاح مؤقت في جميع الميادين بخلاف هذه الدول فاننا الى الان لم نشاهد لها شيئا من النجاح الذي كان للحزب الناتسي ، اما الحرية والدمقراطية بمعناهما الصحيح فان نصيب هذه الدول منهما اقل من نصيب الحزب الناتسي •

والقسم الثاني ممالك وامارات وهذه الممالك والامارات سائرة على ماكانت عليه من قبل لم تتخذ لنفسها اسما جديدا وكلها تأخذ باسباب الحضارة على حسب ماتسمح لها احوالها ومقدراتها وكلها تدعو الى التعاون والتآخي بين العرب ولاتنكر الوحدة اذا سارت في طريقها الطبيعي مرحلة بعد مرحلة ، وانما تنكر العدوان والتدخل في الشئون الداخلية ان يقع من دولة في شؤون دولة اخرى ،وهذا هو المعقول الممكن • على انني لااهتم كثيرا بهذه الوحدة الا اذا كانت مبنية على قواعد الاسلام ، وكذلك لااهتم بالعرب الا اذا كانوا مسلمين قولا وفعلا • وآية ذلك ان يتبعوا القرآن وماصح من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ويكونوا أمة واحدة كما كانوا في دولة النبي ودولة الخلفاء ،ولافرق بين مسلم عربي ومسلم غير عربي عندما قال تعالى في سورة الحجرات : «وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون•»

ولم يقل وان طائفتان من العرب اقتتلوا ولا قال انما العرب اخوة ، وليس مقصودي غمط حقوق الجماعات العربية التي لاتدين بالاسلام فان ذلك ظلم والله لايحب الظالمين بل نعامل المواطنين من العرب غير المسلمين بالعدل والاحسان الى أن يطمئنوا على حقوقهم ويثقوا بمواطنيهم المسلمين كل الثقة ويأمنوا بارائهم ، لان الاسلام

دين الرحمة والمحبة والعدل قال تعالى في سورة الانبياء : ـ ومارسلناك الا رحمة للعالمين ـ وبحكم الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم يجب على امته ان يكونوا رحمة للعالمين .

ثم ان للعرب غير المسلمين على العرب المسلمين حق القرابة وصلة الرحم ، والمخالفة في الدين لاتسقط هذا الحق ولو طبق العرب المسلمون مع العرب غير المسلمين ماجاء به الاسلام لما احتاجوا الى أن يوجسوا فى انفسهم خيفة او يطلبوا حماية من الدول النصرانية الاجنبية او ان يؤلفوا احزابا على أسس تنقض عرى الاسلام وتقضى على الاخوة الاسلامية ليشغلوا المسلمين بها ويشتتوا شملهم ويفرقوا جمعهم كما هو الواقع فى بعض الاقطار العربية وهذه الدول التى تسمى نفسها تقدمية اشتراكية تظهر عداوة شديدة للممالك والامارات لالشيء الا لانها لم توافقها على مذهبها الجديد. ومن عداوتها لها انها تسميها رجعية تريد انها بمجرد تسميتها نفسها تقدمية واشتراكية وجدت طريق السعادة وسلكته ، وهى تريد من تلك الممالك ان تجد هذا الطريق وتسلكه معها فان لم تفعل استحقت القطيعة والهجران والمكايد وتربص الدوائر زيادة على الشتائم التى تصب عليها ليل نهار ، وحجة هذه الممالك والامارات فى رفضها لما عرض عليها من هذا المذهب الجديد انها ليست كاليتامى القاصرين او الصبيان السفهاء حتى تطمع الدول الاشتراكية ان تضع نفسها فى مقام الوصاية والتربية والتأديب والاشراف والنظر فى مصالحها . ثم ان هذه الممالك والامارات لم تر شيئا من التقدم والتحسن طرأ على تلك الدول ولا على شعوبها بعد انتحالها للنحلة الجديدة لا فى العقائد ولا فى الاخلاق ولا فى الاقتصاد ولا فى السياسة ولا فى القوة الحربية ولا فى الروابط الاجتماعية بل ترى عكس ذلك هو الواقع وهى مع ذلك تدعو الى روابط الاخوة والصداقة وتبادل المصالح والمنافع وتنشد قول طرفة :

١ـ فمالى اراني وابن عمى مالكا
متى أدن منه ينأى عنى ويبعد

ولما كان الاستطراد من طبعى الذى لاأنفك عنه وأعلم أن أكثر المستمعين يصعب عليهم فهم هذه الابيات التى هى من الادب الجاهلى العالى اردت ان أشرحها لهم ليتمكنوا من فهمها ويلتذوا بانشادها .

يقول فى هذا البيت مابال ابن عمى مالكا كلما اردت أن أتقرب اليه واتودد اليه يجفونى ويبعد عنى ؟

٢ـ وآيسنى من كل خير طلبته
كانا وضعناه الى رمس ملحد

يقول قنطنى ابن عمى هذا من كل خير طلبته منه حتى كأنه ميت مقبور لايرجى خيره .

٣ـ على غير شيء قلته غير انني نشدت ولم أغفل حمولة معبد

يقول : ثم أن الجفاء هذا الذى وقع من ابن عمى لم يكن له سبب فانني لم اسيء اليه لا بقول ولا بفعل ولكني طلبت ابل اخي معبد وبحثت عنها حتى وجدتها ولم أهملها ولايعقل ان يكون هذا سببا للعداوة والجفاء

٤ـ وقربت بالقربى وجدك انه متى يك امر للنكيثة اشهد

يقول ولم أقصر في مراعاة واجبات القرابة واقسم بحظك وحقك ايها المخاطب انه لايصيب ابن عمى امر يجهده ويكربه الا حضرت ونصرته ودافعت عنه ٠

٥ـ وان ادع للجلى اكن من حماتها وان يأتك الاعداء بالجهد اجهد

يقول متى دعوتني الى الامر العظيم الذى ينزل بك ابادر الى حمايتك من كل مكروه وان جاءك الاعداء يبغون قتالك بجهدهم وقوتهم ابذل كل جهد في دفعهم عنك ٠

٦ـ وان يقذفوا بالقذع عرضك اسقهم بشرب حياض الموت قبل التهدد

يقول : وان طعن الاعداء في عرضك وأرادوا ان يخدشوا شرفك واساءوا اليك بقول الفحش اذيقهم الموت واباغتهم به قبل التهديد والوعيد او الانذار والتحذير ٠

٧ـ بلا حدث احدثته وكمحدث هجائى وقذفي بالشكاة ومطرد

يقول : ان ابن عمى مالكا يعاملني بهذه المعاملة القاسية بدون ذنب فعلته كانني مذنب فيهجوني ويذمني ويشكوني ويصيرني طريدا بعيدا ٠

٨ـ فلو كان مولاى أمرأ هو غيره لفرج كربى او لانظرني غد

يقول : فلو كان ابن عمى رجلا اخر من أهل المروءة لكشف عني المكروه كما اكشفه عنه او لامهلني على الاقل الى المستقبل حتى يتبين لى صدقي في مودتي ولم يقابل احساني بالاساءة٠

٩ـ ولكن مولاى امرؤ هو خانقي على الشكر والتسآل او انا مفتدى

يقول : ولكن ابن عمى رجل يضيق علي مع شكرى له والسعي في ارضائه وابتغاء الاحسان منه يعاملني معاملة العدو الذى يعمد الى خنق عدوه الا أن يفتدي نفسه بمال او نحوه ٠

١٠ـ وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

والظلم وان كان يؤلم من القريب والبعيد فانه من القريب اشد ايلاما وأكثر مرارة من الضرب من السيوف القواضب ٠

١١ـ فذرني وخلقي انني لك شاكر ولو حل بيتي نائيا عند ضرغد

يقول : فاتركني ياابن عمى على طبيعتي وحسن عشرتي فاني لااقابل اساءتك بمثلها وهذا هو الواجب عليك وساشكرك عليه كانه نعمة

اسديتها الى ولـــو كنت بعيد الديار
اسكن فى جبل ضرغد .

الفاظ يتبجح بها كثير من الناس فى هذا الزمان كالثورة والجمهورية والديمقراطية والحرية :

وقد شرحتها فى مقال (ايها العرب لاتتخذوا التفرقة وسيلة الى الوحدة) وقد نشر فى صحف كثيرة منهامجلة البعث ومجلة الايمان المغربية ،ولذلك لأطيل القول فى شرح هذه الالفاظ.

فالثورة هى خـــروج الشعب على حاكمه او حكامه اذا اساءوا التصرف وجاروا وظلمواولميكونوا اهلا للامانة التى جعلت فى أيديهم كما وقع فى الثورة الفرنسيـــة وفى ثورة سكان الولايات المتحدة الاميركية على حكامهم البريطانيين فاذا توفـــرت اسباب الثورة وكان القائم بها هو الشعب، وكان قادتهـــا مخلصين مصلحين لايريدون بثورتهم رئاســـة ولا مالا وانما يريدون رفع الجـــور واازلة الفساد وتحرير الشعب فان الثورة يكتب لها النجاح وتؤتى أكلها اما اذا كان القائمو نبها عصبة لهـــم مآرب وأغراض قد اوغـــر صدورهم الحسد وتراءت لهم الامـــانى فاوقدوا نيران الثورة واعملوا الســـلاح فى شعبهم وسفكوا الدماء ليتوصلـــوا للمراتب التى لم يزالوا يمتنونها فقد يتفطن لهمالقابضون علىزمام الحكمويخمدون انفاسهم ويصيرونمسخرة للساخرين ويخسرون كل شىء ، وقد لايتفطنون لهم فتنجح الثورة نجاحا مؤقتا الى ان تسنح الفرصة لعصبة اخرى فيقبضوا عليهم ويسقوهم بالكأس التى سقوا بها غيرهم فيقال فيهم ماقيل فى ابى مسلم الحراسانى :

ظننـــت ان الـــدين لايقتضى
فاستوف بالكيل ابا مجـــرم

اشرب بكأس كنـــت تسقى بها
أمر فى الحلـــق من العلقم

ويستمتع اصحاب الثورة الثانية بالحكم ماشاء الله أن يستمتعوا حتى تتمكن منهم عصابة اخرى فتثب عليهم وثبة الاسد الذى كان مريضا فجاءه الثعلب بالحمار للمـــرة الثانية فلم يفلته وهكذا دواليك .

فبشر الشعب الذى اصيب بمثل هذه الثورات بعذاب أليم ، ومن يمدح مثلها او يتمنى حدوثها فى وطنهفهو غاش لقومه ساع فى هلاكهم .

الجمهـــورية

اما الذين يمدحون الجمهورية لذاتها فليسوا اقل ضلالا من الذين يمدحون الثورة لذاتها بقطع النظرعن العواقب والنتائج، اذا كان الشعب جاهلا منحطا فى اخلاقه ليس لهرابطة متينة تربط بين افراده وطوائفه.قد ساد فيه الغش وقل فيـــه الاخلاص وخربت الذمم فانه لايصلح للحياة السعيدة لا بالنظام الملكى ولا بالنظام الجمهـــورى لان الرؤساءالذين كانوا يحكمونهفىالعهد الملكىهمانفسهمالذين

يحكمونه فى العهد الجمهورى ولايعقل أن يكونوا فى العهـــد الملكى ذئابا يعيثون فسادا ثم ينقلبوا فى العـهد الجمهورى ملائكة ابرارا • وانا أظن أن الملكية اذا كانت ثابتة الاساس قد اذعن لها الشعب وانخرط فى سلكها منذ زمان طويل ، وكان ذلك الشعب منحطا فى اخلاقه جاهلا أن الملكية خير له من الجمهورية لان الملـــك يجمع كلمته ويوحد صفوفه ، ويحفظ اهله من أن يصيروا فوضى كغنم بلا راع •

اما اذا كان الشعب رشيدا وكان رؤساؤه ذوى علم وحـــكمة ونزاهة واخلاص واخـــلاق ساميـــة فانهم ينجحون ، سواء أصاروا على النظام الملكى ام على النظام الجمهورى والواقع يشهد بهـــذا • فبريطانية بنظامها الملكى تتمتع بسعادة اجتماعية ورفاهية واستقرار ، تحسدها عليه كثير من الجمهوريات ، ولايفكر احـــد من حكمائها وقادتهـا باستبدال النظام الملكى والانتقـــال الى جمهورية وهذا الرضـا والاطمئنـــان لايختص بالبريطانيين فقط ، بل هناك شعوب راقية سعيدة فى حياتها ، ديمقراطية فى سلوكها حـرة فى تصرفاتها قد ربطت مصيرها بهذه الدولة الملكيـة شعوب (كمونويلث) ككندا واستراليا ونيوزيلندا وغيرها ممـن يدور فى فلكها ، وهناك ممالك اخرى قدذكرتها من قبل فى غاية الاستقرار والرفاهية

ومن زعم أن الجمهـــورية مرغوبة لذاتها او ضرورية لكل شعب فانزعمه باطل لايثبت امام النقد الا كما يثبت الثلج فى السهول اذا اشرقت عليه شمس الربيع • اذا فالشأن كل الشأن ان يكون رؤساء الشعب علماء حكاما ، مخلصين صالحيـــن فعلى أى نظام كانوا فانهم يقودون سفينة شعبهم الى شاطىء السلامة ونحن نرى الشعوب المختلفة فى نظـــام الحكم متعاونة متصافية بغاية الاخـــلاص كبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية فقد مضى على تعاونهما فى السلم والحرب زمن طويل ، ولم تحاول احداهما ان تقلب الاخرى الى نظامها •

اذا فهذه الحزازات التى توجد فى نفوس الحكومـــات العـربية الجمهورية ومايعتريها من الاشمئزاز والكراهية للنظام الملكى حتى ربمانها تسعى فى اسقاطه وتبالغ فى شتمه وتصفه بالرجعية كل ذلك خطأ فاحش لم يعالجه طبيب ولا راق ، والاستمرار فيه يتنافى مع المصلحة العامة لتلك الشعوب ويفضى الى عواقب وخيمة •

الديمقـــراطية

الاسلام نظام كفيل بسعادة كل من تمسك به من جماعات وافراد ودول ولايحتاج ان يستعير من غيره شيئا وهو لايتفق مع نظام رأس المال ولامع الشيوعيـــة ولا مع الاشتراكيات بانـواعها •

وقد سبق الى كل خير يوجد فى هذه النظم وتجنب كل شبر فيها ،

فاذا وصفت الامـــة الاسلامية بانها دمقراطية فقد جهلتها وجهلت عليها ، فالاسلام مبنى على العـدل والاحسان وفيهما سعادة البشر أجمعين • اما دعاة الديمقراطية فى هـــذا الزمان فانهم يصفونها بان يحكـــم الشعب نفسه بنفسه بواسطة الانتخاب العام فكل جماعة من الناس تختـــار نائبا يمثلها اوينوب عنها فى مجلس يسمى البرلمان وهذا المجلس هو الذى يختار رئيس الـــوزراء ويعينه ، ورئيس الوزراء يختار وزراءه من اولئك النواب او من غيرهم بموافقة المجلس ، وكل فرد من أفراد الشعب له الحـــق ان ينتقد النواب والوزراء ورئيسهم ،فى حدود القانون الـــذى يمنع التعدى والظلم وهـــذا القانون يضعه علماء اختصاصيون ويقره المجلس •

قالوا : وهـــذا أرقى ماوصل اليه العقل البشرى فى الحـرية والمساواة فكل من وقع عليه ظلـم يستطيع ان يدفعه عنه بواسطة نائبه ، وكذلك من تعسر عليه الوصول الى حق يستعين بنائبه على الوصول اليـــه • وحرية الاعتقاد والانتقاد فى ضمـن القانون وابداء الرأى وسائر الحريات مكفولة فلا يعاقب احد بحبس او غرامة الا اذا خالف القانون المتفق عليه وتوزع الحقوق والواجبات بالتساوى ، فلا يعفى من الواجبـات احد كيف ماكان مركزه فيكون كل فرد آمنا مطمئناعلى نيل حقوقه لايحتاج الى تملق ولاتعلق فلا يخاف الانسان الا مما قدمت يداه،

ومع هذا التحرى كله فقد يقع الغش فى الانتخاب فان مالك المزرعة ومالك المعمل اذا رشح نفسه للنيابة يشعر الفلاحون والمزارعون بان من اللياقة ان ينتخبوا مـــالك مزرعتهم ويشعر العمال كذلك انه ينبغى عليهم اويجب عليهم ان ينتخبوا مالك معملهم فيختل ميزان المساواة •

وهناك سبب آخر لامتعاض الناس فى البلدان (الدمقراطية) وهو وجود الاحزاب المختلفة كالمحافظين والعمال والاحرار فالمحافظون يـــرون اعطاء الحرية أفراد الشعب كيف ما كانت كسكك الحـــديد والمعادن والمصانع الكبرى ويقولون ان ذلك هو الاصلح لشعبهم ليتنافس افراده وجماعاته ، كالشركات مثلا فى العـــمل لتكثير المنتوجات واستثمار البلاد واستخراج كنوزها ، وبذلك يقـــع الازدهار والتقدم فى جميـــع الميادين ويقول العمال الاشتراكيون : ان البلاد كلها بثمراتها ومعادنهـــا وكنوزها ملك للشعب كله ، فيجب ان تكون منابع الثروة الكبرى فى يد الحكومة لئلا يستولى عليها افراد قليلون يحتكرونها ويستحوذون على الارزاق خصوصا مع اباحة الربا فتصير جمـاهير الشعب الكادحة التى بعرق جبينها استخرجت تلك الأموال والارزاق خـدما وعبيدا لفئة قليلـــة منذوى رؤوس الاموال المحتكرين •

وتتهم الاحزاب بعضها بعضا بعدم النزاهة فى الانتخاب ولكن لما كانت

الاحزاب متعددة يكـــون من السهل على كل حـــزب ان يكتشف ويفضح دسائس الحزب الاخر فيزول الحيف ويقع التوازن • فحزب العمال يبذل جهده فى تأميم المنابع الكبرى ،وحزب المحافظين يبذل جهده فى ترك الناس أحرارا فى المضاربة والاستثمار وكل منهما يرى ان وجهته أفضل لشعبه• وقد ساروا على هذا منذ زمان طويل ورضوا به واعتقدوا انه أفضل مايقدر البشر عليه من العـــدالة • وهناك استعمال اخـــر للديمقراطية وهو استعمالها لفظـــا مرادفا لاشتراكية الشيوعية ، وهذا الاستعمـــال دعاية مجردة غير معقولة لان كل شعب يحكم بنظام الحزب الواحد لايمكن ان يكون ديمقراطيا وحتى ذلك الحزب الواحد لم ينتخبه الشعب وانمـــا هو طائفة تسلطت عليه بالقهر والغلبة وأسرته واستعبدته شر استعباد وصارت تتكلم باسمه ، وتستخدمه بلا رحـــمة ولا شفقة وقد سبته جميـــع الحريات : حرية الكلام ، حرية الاعتقاد وحرية العمل وحـــرية الاضراب عن العمل وحرية المطالبة بزيـــادة الاجور ، او بزيادة الطعام او الكسوة او التدفئة، وقد تقدمت الاشـــارة الى بعض ما تقاسيه هـــذه الشعـــوب المخنوقة المستعمرة شر استعمار •

الحـــرية

ومن العجب ان هؤلاء الجبابرة الذين يحكمون شعوبهم بالحديد والنار حكما كله دماء ودموع ، وقهر وكبت، واذلال واهـــانة ، مع ذلك يتغنون بالديمقراطية والحـــرية وهم يعلمون انهم ابعد النـــاس عن الحرية والديمقراطية ، ولكن كـما قيل فى المثل وهو مأخوذ من الحديث الصحيح: — اذا لم تستحى فاصنع ماشئت — وعليه يقـــال : اذا لم تستحى فقل ماشئت • ونظمه بعضهم فقال فأجاد.

اذا لم تخشـــى عاقبـة الليالى
ولم تستحى فاصنـــع ماتشاء
فلا واللـــه ما فى العيش خير
ولا الدنيا اذا ذهـــب الحياء

ومن أراد زيادة الاطلاع على ماكان عليه الاوروبيون الى زمان قريب جدا من الانحطاط والهمجية وما كان عليه المسلمون فى الانـــدلس فى زمن انحطاط الاوروبيين قرونا طويلة من العلم والحضارة والـــرقى الحسى والمعنوى فليقرأ كتاب (مدنية العرب فى الاندلس) الذى ترجمه كاتب هذه المحاضرة بالعربية لمـــؤلفه الذائع الصيت — جوزيف مكيب — ولاتزال عندى منه بضع مئات ، هذا مابدا لى ايراده فى بيـــان مايسمى بالرجعية والتقدم كتبته تبصـــرة لاخواننـــا المسلمين الـــذين لايعرفون ماينطوى تحت هتين الكلمتيـــن من الغش والتضليل •

والله يقول الحـــق وهو يهدى السبيل •

استـــدراك

لما فرغ القارىء من قراءة محاضرتي قام صاحب الفضيلة الاستاذ المرشد العربي الموفق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله فاشار بتلطفه المعهود وادبه السامي الى انه قد يفهم مما قلته في عموم المسلمين الذين يعملون السيئات وغيرها الحكم بغير ماانزل الله وقد عذبهم الله في الدنيا كما اوعدهم في كتابه العزيز وسيعذبهم الله في الاخرة اكثر مما عذبهم في الدنيا ، ولم استثنى في ذلك شعبا من الشعوب ولا دولة من الدول حتى كـــانهم متساوون في الجريمة . وكان ينبغي لي ان استثنى من قام منهم بشيء من الواجب على قدر استطاعته وهذا حـــق فان الشعب السعودي والمملكة السعودية بقيادة ملكها الامام المصلح جلالة الملك فيصل والائمة السابقين من أسلافه ورحمهم الله لم يزالوا يحكمون شـــريعة الله ويتخذون القرآن اماما والسنة سراجا يضيئان لهم ظلمات الحياة ويجنبان مملكتهم ارتكاب الموبقـات وقد عجل الله لهم المثوبة في هذه الحياة الدنيا بانتشار الامــن على الانفس والاموال والاعراض في بلادهم الى حد لايوجد له نظير في الدنيا حتى انى لما كنت في ألمانيا قبل الحرب وقبل تقسيمها وهي في عنفوان قوتها وحدثت الناس هناك بالامن الذي يتمتع به سكان المملكة السعودية تفصيلا سألوني اين يتخرج رجال شرطة هـــذه المملكة ورؤساؤها فقلت يتخرجون فيمدرسة القرآن في المسجد فأبدوا شكهم في ماخبرتهم به وقالوا لايوجد في الدنيا أحسن من الشرطة الالمانية ومع ذلك لايوجد عندنا مثل ماذكرت من الامن وهذا الثواب المعجل في الدنيا يدل دلالةقطعية علىأن الله الذي لايخلف الميعاد سيثيب امـــام هـذه الدولة واسلافه ورجـــال دولته واعوانه المخلصين في الدار الاخرة اعظم مما أثابهم في الدنيا كما قـال تعالى في سورة النحل ٣٠ (للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتهـــا الانهار لهم فيها مايشاءون كذلك يجزي الله المتقين) . وأشهد بالله انى لما دعاني سموالامير مساعد ابن عبدالرحمن الى الحج سنة سبع وخمسين بتاريخ النصارى اظنه يوافق سنة ست وسبعين للهجرة ، كنت راكبا في طائرة سويسرية من بغداد الى الظهران وكانت المضيفة من القسم المتكلم بالالمـــانية من سويسرا فاخذت تدور على ركـــاب الطائرة لما أرادت ان تـدخل في سماء المملكة العربية السعودية وتقول لهم لايطلب احد منكم خمرا حتى نجتـــاز المملكة السعودية ولايجوز لاحـــد منكم ان يمسك زجاجة خمر ولو فارغة فان الحكومة السعودية تعاقبنا على ذلك وتكلمت معي باللغـــة الالمانية لانها عرفت من قبل انى اتكلم بها وشرحت لي خوف قائد الطائرة وجميعالموظفين

من رجال المملكة السعودية وانهم لايتساهلون مع اى طائرة يجدون فيها شرابا مسكرا ظاهرا قالت فنحن نخبىء جميع الاشربة المسكرة حتى القوارير الفارغة الى ان نخرج من هذه المملكة فاخبرتها انى مسلم وان عقيدتى والحمد لله مطابقة لهذا الحكم وانا احمد الله على وجود مملكة فى الدنيا تنفذ هذا الحكم ٠

ونحن نشاهد شريعة القرآن تنفذ على رؤوس الاشهاد ، فى هذه المملكة الفذة فيقتل القاتل المتعمد ويرجم من الزناة من يستحق الرجم ويجلد من يستحق الجلد مع التغريب وتقطع يد السارق ويقام الحد على الشارب ولا يحكم حاكم فى جميع ارجائه الا بشريعة القرآن فكيف يستطيع مسلم أو منصف ان يسوى بينها وبين من يحل ماحرم الله ويحكم بغير ماانزل الله ، نعم ان اشباه القردة من المقلدين لمن يسمونهم بالمستعمرين ويسلقونهم بألسنة حداد ليل نهار في اذاعاتهم وصحفهم هؤلاء القردة يسمون شريعة الله ورسوله التى سار عليها المسلمون حين كانوا سادة العالم ، يسمونها رجعية ويسمون المنفذين لها ابدهم الله بروح منه — رجعيين — وقد تقدم جوابهم أعلاه فى هذه المحاضرة بما يلقمهم الاحجار ، ولا يدع لهم مجالا للفرار ،وانى لاشكر صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز على هذا التنبيه الذى تفضل به ،فلا زال مصدرا لكل خير وكمال ٠

موعظة

أخى مابال قلبك ليس ينقى	كأنك لاتظن الموت حقا
ألا يابن الذين فنوا وبادوا	أما والله ماذهبوا لتبقى
ومالنفس عندك من مقام	اذا مااستكملت اجلا ورزقا
ومااحد بزادك منك أحظى	ولاأحد بذنبك منك أشقى
ومالك غير تقوى الله زاد	اذا جعلت الى اللهوات ترقى